في الأوّل من شهر ذي الحجّة، تتألّق الذاكرة الإسلاميّة بذكرى مباركة وعزيزة على القلوب، ذكرى زواج النورين: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام. وهي مناسبة لا تُستحضر بوصفها حادثة تاريخيّة عابرة، بل باعتبارها مدرسةً حيّةً في معنى الزواج، وقدسيّة الأسرة، ورسالة البناء الإنساني الذي أراده الله تعالى للناس. ومن أروع ما يلفت النظر في هذا الباب، ما ورد عن النبيّ محمد صلى الله عليه وآله حين أطلق على الزواج اسم البناء، فقال: "ما بُنيَ بناءٌ في الإسلام أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من التزويج". إنّه تعبير بالغ العمق، يفتح أمامنا أبواب التأمّل في ماهيّة الزواج، وفي سرّ كونه أحبّ بناء إلى الله.

فالزواج في المنظور الإسلامي ليس مجرّد ارتباط اجتماعي، ولا عقدًا شكليًا لتسيير شؤون الحياة اليوميّة، وإنّما هو بناءٌ بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى. والبناء لا يقوم على التمنّي، ولا يثبت بالزينة الخارجيّة، بل يحتاج إلى أساس، ومهندس، وصبر، وتقدير، ومعرفة بطبيعة الأرض التي يُشاد عليها. وكذلك الحياة الزوجيّة؛ لا تُقام على الانفعال العابر، ولا على الانبهار المؤقّت، وإنّما تُبنى على الفهم، والثقة، والتكافؤ، والرحمة، وتحمل المسؤوليّة.

وحين نتأمّل في هذا التشبيه النبويّ الرائع، ندرك أنّ كِلا الزوجين مدعوّ إلى أن يكون مهندسًا في هذا البناء. فكما أنّ المهندس يدرس الموادّ التي يبني بها، ويقيس الصلابة، ويتأكّد من القدرة على الاحتمال، ويضع خطّةً تضمن الاستمرار والثبات، كذلك ينبغي لكلّ من الرجل والمرأة أن ينظر إلى الآخر بعين الوعي والبصيرة. فليست المسألة أن يُعجب أحدهما بمظهر الآخر أو ببعض صفاته السريعة، بل الأهم أن يطمئنّ إلى معدن شخصيّته، ومتانه عقله، وصدق أخلاقه، وسلامة نيّته، وقدرته على حمل أعباء الطريق الطويل.

ومن هنا، فإنّ التعبير عن الزواج بأنّه "أحبّ البناء" يحمل رسالة بليغة: أن الأسرة ليست مشروعًا صغيرًا في حياة الإنسان، بل هي المشروع الأعمق والأبقى أثرًا. فقد يشيّد الإنسان بيتًا من الحجر، أو يبني مكانةً في المجتمع، أو يحقّق نجاحًا في عمله، لكنّ البناء الذي يمتدّ أثره في الدنيا والآخرة هو بناء الأسرة الصالحة، التي تكون موطن سكينة، ومنبعًا للقيم، ومصنعًا للأجيال.

ولعلّ أجمل ما نراه في ذكرى زواج عليّ وفاطمة عليهما السلام، أنّ هذا البناء المبارك لم يقم على زخارف الدنيا، ولا على التكلّف والمغالاة، بل قام على الطهر والإيمان والبساطة والرسالة. لقد كان بيتًا متواضع الأثاث، عظيم المعنى، قليل المتاع، كثير البركة. وما أكثر البيوت التي تمتلئ بالأشياء وتخلو من الطمأنينة، وما أعظم بيتًا قلّت فيه الوسائل المادّيّة لكنّه امتلأ نورًا، ورضًا، وصدقًا، وإخلاصًا لله تعالى.

إنّ زواج النورين يعلّمنا أنّ قيمة الزواج لا تُقاس بما يُنفق فيه من مال، ولا بما يُحاط به من مظاهر، بل بما يُؤسّس له من مبادئ. فحين يكون الاختيار قائمًا على الدين، والأخلاق، والوعي، وحين تكون النيّة خالصةً لطلب رضا الله، يصبح الزواج بابًا للسكينة الحقيقيّة، ويغدو البيت محرابًا للمحبّة، ومدرسةً للتضحية، وساحةً لنموّ الفضائل.

ومن الدروس الملهمة في هذا الزواج المبارك، أنّ البناء الناجح لا يعني غياب التحدّيات، بل يعني القدرة على إدارتها بروح الإيمان. فالحياة الزوجيّة مهما سمت لا تخلو من التعب، ولا تنفكّ عن متطلّبات الحياة وضغوطها، لكنّ سرّ النجاح هو أن يتعامل الزوجان مع هذه الأعباء لا بوصفها معاول هدم، بل موادّ بناء جديدة تزيد الجدار تماسكًا. إنّ الصبر، والتفاهم، وحسن الظن، والاحترام المتبادل، كلّها أعمدة خفيّة تحفظ البيت من التصدّع.

ولذلك، فإنّ الشباب والفتيات وهم يقبلون على الزواج، أحوج ما يكونون إلى فهم هذا المعنى: الزواج ليس حفلةً ليوم واحد، بل هندسة عمر. وليس المطلوب فيه أن يبحث كلّ طرف عن شريك يحقّق له صورةً مثاليّة متخيّلة، بل أن يبحث عن إنسان صالح يمكن أن يُبنى معه مستقبل كريم. إنّ السؤال الأهم ليس: ماذا أريد أن آخذ؟ بل: ماذا أستطيع أن أقدّم؟ وليس: كيف أجد شخصًا كاملًا؟ بل: كيف أكون أنا شريكًا ناضجًا في بناء متين؟

ومن المؤسف أن كثيرًا من العلاقات تتعثّر لأنّها تبدأ من السطح لا من الجذر؛ من المظهر لا من الجوهر؛ من الانبهار لا من البصيرة. بينما يذكّرنا المعنى النبويّ بأنّ البناء إن لم يكن أساسه متينًا، فإنّ أجمل واجهاته لا تمنع سقوطه. ومن هنا، كانت الأخلاق أسبق من الجمال، والصدق أهمّ من البهرجة، والنضج أثمن من الادّعاء. فالشخص الذي يُعتمد عليه عند الشدائد، ويثبت عند الاختبار، ويصون العهد، هو المادة الحقيقيّة التي يُبنى بها البيت الآمن.

وفي بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام، نجد النموذج الأكمل للشراكة الرحيمة. لم يكن أحدهما عبئًا على الآخر، بل كان كلٌّ منهما سندًا لصاحبه. كانت العلاقة قائمة على المودّة التي تهدّئ القلوب، وعلى الرحمة التي تحتمل النقص البشري، وعلى الإخلاص الذي يجعل كلّ تعبٍ في سبيل الأسرة قربةً إلى الله. وهكذا صار ذلك البيت الصغير في مساحته، الكبير في رسالته، منبعًا للنور والكرامة والنسل الطاهر.

إنّ إحياء هذه الذكرى ليس مجرّد احتفال وجداني، بل هو دعوة لإعادة تصحيح مفهوم الزواج في مجتمعاتنا. نحن بحاجة إلى أن نعيد إلى الزواج معناه الرساليّ، وأن نخفّف عنه ما أثقلته به العادات من تكاليف مرهقة، وتوقّعات متضخّمة، ومقاييس بعيدة عن روح الدين. فكلّما كان الزواج أقرب إلى البساطة والوعي، كان أقدر على الثبات والاستمرار. وكلّما ابتعد عن التكلّف، اقترب من البركة.

وفي ختام هذه المناسبة العطرة، نقف بإجلال أمام هذا "البناء الأحبّ" إلى الله، مستلهمين من زواج عليّ وفاطمة عليهما السلام معنى السكينة، وصدق الشراكة، ونبل الرسالة. إنّ الأسرة الصالحة ليست تفصيلًا ثانويًا في حياة الأمّة، بل هي حجر الزاوية في نهضتها الروحيّة والأخلاقيّة. وإذا صلح البناء، صلح ما يُقام عليه، وإذا اشتدّ أساس البيت، قوي المجتمع كلّه.

فليكن الأوّل من ذي الحجّة مناسبةً لنتذكّر أنّ الزواج ليس مجرّد بداية حياة مشتركة، بل بداية بناءٍ يحبّه الله، ويرعاه، ويباركه. وليكن شعارنا في هذه الذكرى المباركة: أن نبني بوعي، ونختار ببصيرة، ونعيش بمودّة، ونصبر برحمة، حتى تكون بيوتنا امتدادًا لذلك النور الذي أشرق يوم اجتمع عليّ وفاطمة، فكان زواجهما درسًا خالدًا في أن أحبّ البناء هو ما أُقيم على الإيمان، وشُيّد بالمحبّة، وثبت بالتقوى.

■ مقالة

زواج النورين

درسٌ في بناء الأسرة

■ رئيس التحرير

■ مقالة

سياسة الردع في الدولة الإسلامية تجاه الأعداء

قراءة فقهية وحقوقية في الأسس والحدود ومتطلبات التصدي للعدوان

■ محمدجواد أرسطا

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

الآفاق- في ظل الظروف التي قد تستهدف فيها تهديدات العدو وعدوانه أمن الدولة الإسلامية وبناها التحتية وشراييها الحيوية، لم يعد الحديث عن «الردع» مجرد شأن عسكري، بل غدا مسألة ذات أبعاد فقهية وحقوقية وسياسية واستراتيجية واضحة. والسؤال الجوهري هنا هو: تحت أي عنوان يندرج الردع في الفقه الإسلامي؟ وما حدوده؟ وإلى أي مدى تكون المعاملة بالمثل مشروعة، بل لازمة، في مواجهة العدوان المباشر؟ وما يلي هو عرض فقهي لنموذج الردع في الدولة الإسلامية تجاه الأعداء.

من الناحية الفقهية، يندرج الردع في مواجهة العدو تحت عنوان «إرهاب أعداء الله»، كما ورد في الآية الكريمة ٦٠ من سورة الأنفال:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وبحسب هذه الآية، فإن إعداد مختلف عناصر القوة والقدرات اللازمة لمواجهة الأعداء يجب أن يكون على نحو يفضي إلى إرهابهم وتخويفهم، أي إلى إلقاء الرهبة في نفوسهم بما يمنعهم من الإقدام على مهاجمة الدولة الإسلامية.

وعليه، فإن الهدف من توفير القوات والإمكانات القتالية لا يقتصر على تمكين المسلمين من الرد إذا وقع العدوان، بل يتجاوز ذلك إلى جعل إعداد القوة في مستوى يرفع كلفة الهجوم على الدولة الإسلامية إلى حد يدفع العدو إلى الإحجام عنه من الأساس، وهذا هو معنى الردع.

■ متى يتحقق الردع؟

الردع لا يتحقق إلا إذا توفرت له جملة من الشروط:

أولًا: أن تُوفَّر جميع الإمكانات اللازمة لإرهاب العدو وتخويفه، سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو دولية أو غير ذلك.

ثانيًا: أن تكون هذه الإمكانات والقدرات متناسبة مع حجم الأخطار التي يفرضها أعداء الإسلام على أرض الإسلام، بل أن تتجاوزها، فلا تكون مساوية لها فحسب، لأن الردع لا يتحقق إلا إذا شعر العدو بأن كلفة عدوانه ستكون أعلى من قدرته على الاحتمال، وإلا فلن يصدق معنى قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

ثالثًا: أن يكون لإعداد القوة وإظهارها أثر خارجي ملموس، بحيث تُظهر الحكومة الإسلامية لأعدائها، مع مراعاة المتطلبات الأمنية، عبر المناورات العسكرية ونحوها، أنها تمتلك من عناصر القوة ما يكفي لرفع كلفة أي هجوم محتمل إلى مستوى لا يحقق للعدو أي مصلحة، لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد.

■ ماذا بعد تراجع المعتدي؟

في ضوء ما تقدم، يتضح الجواب عن السؤال القائل: بعد تراجع المعتدي، تحت أي عنوان فقهي تندرج معاقبته بهدف الردع؟

الجواب أن العدو، بعد هزيمته، يجب أن يتحمل كامل الخسائر التي تسبب بها جراء اعتدائه على أرض الإسلام والمسلمين. فإلزامه بالتعويض لا ينسجم فقط مع القاعدة العقلائية والنقلية في الإتلاف والتسبيب، بل يؤدي أيضًا وظيفة ردعية قائمة على ضرورة إرهاب العدو وتخويفه، إذ إن تحميله كامل تبعات عدوانه من شأنه أن يجعله يندم على فعلته ويصرفه عن التفكير في تكرارها.

كذلك، فإن الحكومة الإسلامية، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، مطالبة بتشخيص مواطن الضعف التي ربما أغرت العدو بالهجوم نتيجة خطأ في حساباته، من أجل تداركها، والوفاء بتكليف إعداد القوة على نحو يحقق الردع ويحول دون وقوع عدوان جديد في المستقبل.

■ هل يرتبط الردع بمستوى عدوان العدو؟

كما يتبين من العرض السابق أن حدود الردع ليست رهينة بمستوى العدوان القائم وحده، لأن الردع لا يكون فعّالًا إلا إذا امتلكت الدولة الإسلامية قوة تفوق، بصورة محسوسة وواضحة، مستوى التهديد والعدوان المحتمل من جانب العدو، بحيث يدرك أن مهاجمة أرض الإسلام ستترتب عليها كلفة باهظة تدفعه، وفق منطق الكلفة والمنفعة، إلى العدول عن فكرة العدوان أصلًا.

■ المعاملة بالمثل: هل هي جائزة أم واجبة؟

أما في ما يتعلق بالسؤال القائل: إذا كان العدو الأمريكي–الإسرائيلي يعمد إلى تدمير المنشآت النفطية والشرايين الحيوية للدولة، فهل تجوز المعاملة بالمثل؟ وما حدودها؟ فالإجابة، بوضوح، هي نعم.

فأصل جواز المعاملة بالمثل منصوص عليه صراحة في الآية ١٩٤ من سورة البقرة:

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾

و الآية ١٢٦ من سورة النحل:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

وعندما تُقرأ هاتان الآيتان إلى جانب قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فإنها تدل على أن المعاملة بالمثل قد ترتقي إلى مرتبة الوجوب، لأن الردع في مواجهة العدو لا يتحقق من دون ردٍّ متناسب يثنيه عن تكرار عدوانه.

وبعبارة أخرى، إذا لم يواجه العدو، بعد تدميره المنشآت النفطية وإلحاقه الأذى بالدولة الإسلامية، ردًّا يتناسب مع فعله، فإنه سيزداد جرأة على شن هجمات جديدة. ومن هنا، يجب على الحكومة الإسلامية، من أجل إرهاب العدو وتخويفه ومنعه من تكرار سلوكه، أن تلجأ إلى المعاملة بالمثل.

■ حكم استخدام العدو للدروع البشرية

وتشير المصادر الفقهية، كما في جواهر الكلام، الجزء ٢١، الصفحتان ٦٨ و٦٩، إلى أنه إذا اتخذ أعداء الإسلام أبرياء دروعًا بشرية، بحيث لا يمكن التغلب عليهم إلا بإزالة هذا الدرع البشري، فإن ذلك يكون جائزًا بل واجبًا، لأن تركه يعرّض حياة أعداد أكبر بكثير من الأبرياء للخطر.

وبناءً على قاعدة دفع الأفسد بالفاسد، عقلًا ونقلًا، يصبح رفع هذا الدرع البشري لازمًا، فضلًا عما إذا كان التغلب على العدو متوقفًا على تدمير منشآته النفطية أو غيرها من إمكاناته الحيوية.

■ ما مواصفات نموذج الردع؟

أما في ما يتعلق بنموذج الردع، فإن ضابطه الأساس هو أن تعمل الدولة الإسلامية على إعداد القوة وتوفير الإمكانات في كل المجالات التي من شأن امتلاكها أن يمنع الأعداء من مهاجمتها أو الإضرار بها.

ولا يتحقق هذا التكليف على الوجه الصحيح إلا إذا توافرت فيه الخصائص الآتية:

أولًا: أن يكون هذا الإعداد أكبر بكثير من القدرة العملياتية للأعداء، بحيث يردعهم عن أي ضرر يمكن أن يحقق لهم مكاسب قصيرة الأمد أو بعيدة الأمد.

ثانيًا: ألا يقتصر إعداد القوة على البعد العسكري وحده، لأن النجاح العسكري يحتاج إلى دعم من المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية؛ ومن ثم، يجب على الدولة الإسلامية أن تبني قوتها بصورة منسقة ومتكاملة في جميع المجالات المرتبطة.

ثالثًا: أن يقوم إعداد القوة في مختلف المجالات على الإنتاج الداخلي، لا على الاعتماد على الدول الأخرى، لأن ذلك يمسّ الاستقلال العسكري والاقتصادي للدولة الإسلامية، ويفتح الباب أمام التبعية للخارج وما قد يترتب عليها من استغلال أو تحالفات محتملة مع أعداء الإسلام.

رابعًا: أن يكون إعداد القوة على نحو لا يحقق الردع فحسب، بل يمنع العدو أصلًا من التلويح بالتهديد، لأن مجرد امتلاك الأعداء جرأة التهديد يعني إبقاء شبح الحرب مسلطًا على المسلمين، وهو ما يخلّف آثارًا خطيرة على الدولة الإسلامية ويقوّض الأمن النفسي للمجتمع. ولذلك، فإن نموذج الردع في الدولة الإسلامية ينبغي أن يكون شاملًا، متكاملًا، وقائمًا على استشراف المستقبل.

والحمد لله رب العالمين.

شعر وقصيدة

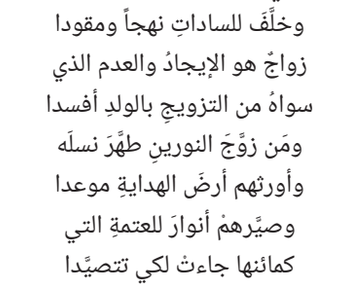

■ سلمان عبد الحسين

بمناسبة اقتران النورين علي وفاطمة عليهما السلام

زواج هو الإيجادُ للكون أوجدا
وعلل: إنّي قد نسلتُ محمدا
نكاية من قالوا لأحمدَ: أبترٌ
تكوثرَ بالنورينِ زوجاً لنشهدا
زواجٌ بأمرِ اللهِ تمَّ محيِّزاً
لبيتِ عليٍّ جانبَ العرشِ حدَّدا
وقالَ عيالُ اللهِ للبيتِ فادخلوا
فما بابُ هذا البيتِ والعرش أُوصِدا
وباسمِ عليٍّ يا هداةَ تكاثروا
فمِن زيجةِ النورينِ هديٌ تولَّدا
ولم يلهكمْ حبُّ الوصيِّ بأنكمْ
تكاثره الأولى الذي قد تسيَّدا
عليٌّ هو المولى وأنجبَ سادةً
وخلَّفَ للساداتِ نهجاً ومقودا
زواجٌ هو الإيجادُ والعدم الذي
سواهُ من التزويجِ بالولدِ أفسدا
ومَن زوَّجَ النورينِ طهَّرَ نسلَه
وأورثهم أرضَ الهدايةِ موعدا
وصيَّرهمْ أنوارَ للعتمةِ التي
كمائنها جاءتْ لكي تتصيَّدا
وما أصطيدَ نورُ المرتضى فوقَ أرضِنا
ولكن بنزفِ النورِ قد طابَ موردا
نزفنا دماً كالماءِ والنورُ باهضٌ
من الكلفِ العظمى فداءً تجنَّدا
نزفنا علياً بعد فاطمَ إذ هما
شعاعيْ فقارٍ طاولَ الحقَّ وافتدى
فكان زواجَ الحقِّ سنّي فقارِه
بحيدرَ والزهرا كساً ما تجرَّدا
وغطَّى إلى أهلِ اليقينِ بأنّهمْ
بتحتِ كساءِ الآلِ أفقٌ تسدَّدا
وملكٌ قديمٌ لا يضيرُ انتزاعُهُ
بأنْ قد غدا ملكَ اعتقادٍ تجدَّدا
ومَن ملكوا بالاعتقادِ نفوسَنا
فما الكونُ عن أملاكِهم قد تحيَّدا
نفوسٌ لنا من أجلِهم قد تفدّكتْ
فصارتْ ملاكاً لا يجيرُ من اعتدى
وصارتْ من التزويجِ ميراثُ أنفسٍ
لنوريهما كالأرضِ إرثاً تجسَّدا
زواجٌ مِنَ الإيجادِ أوجدَ مُبغضاً
محباً بلا تصنيف من غيِّ أرشدا
فمَنْ شاءَ رشداً فهوَ أوجدَ نفسَه
ببيتِ عليٍّ مُذ تحدَّدَ مقصدا
وقالَ زواجٌ للحبيبينِ هانئٌ
وكلُّ مريدٍ زادَ من بعدِه هُدى

نصيحة نفسية

■ لا تؤذِ أحدًا

إن عجزت عن نفع الناس، فلا تكن سببًا في أذاهم. وإن لم تُدخل السرور إلى قلوبهم، فلا تزرع الحزن فيها. لا تشمت بمبتلى، ولا تحسد صاحب نعمة، ولا تجرح أحدًا بكلمة. فالدنيا مرآة الأعمال، وما تبذله للناس يعود إليك يومًا بصورةٍ أو بأخرى.

الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٤٨
الإثنين ١ ذي الحجه ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +